امرأةُ هذه الدنيّة هى امرأةُ العاطفة ؛ تتعلق باللفظ حين تُلبِسُه العاطفةُ من زينتها ، وإن ضاع فيه المعنى الكبير من معانى العقل ، وإن فاتت به النعمة الكبيرة من نعم الحياة

تقوى العاطفة فتجىء بها الى رجل ، ثم تقوى الثانية فتذهبُ بها مع رجل آخر . . . ! وتُقيِّد نفسها إن شاءت ، وتُسرِّح نفسها إن شاءت ؛ وما بُدٌّ من أن تَبلوَ الحياةَ كما يبلوها الرجل ، وأن تخوض فى مشاكلها ؛ وإذا شاءت جعلت نفسها إحدى مشاكلها . . ! ولا مندوحة من أن تتولىّ شأن نفسها بنفسها ، فاذا خاسَتْ أو غدَرتْ فكلُّ ذلك عندها من أحكام نفسها ، وكلُّ ذلك رأىٌ وحقٌّ ، إذ كان محورُها الذى تدور عليه هو عاطفتَها وحريةَ هذه العاطفة ، فمَن هذا يُقرِّر لها خطتها ، ويملى عليها واجباتها ، ويُزوِّر لها الأسماءَ على ارادته دون إرادتها ، فيسمى لها نَكَدَ قلبها باسم فضيلة المرأة ، وحرمانَ عاطفتها باسم واجب الزوجة الشريفة ؟

ومنذا خوّله الحق أن يقرّر وأن يُملى ؟

وهذا الشرقىُّ العتيقُ المأفونُ الذى قبلَها سافرة لا تعرف روحها ولا جسمُها الحجاب ؛ ما بالُه يريد أن يضربَ الحجاب على عاطفتها ، ويتركها محبوسةً فى شرَفه وحقوقه وواجباته ، وإن لم تكن محجوبة فى الدار ؟

ما علمتُ يا إخوانى إلا من بعد ، أن الزوجة الغربية قد تكون مع زوجها الشرقى كالسائحة مع دليلها . هيهات هيهات ، إنه لن يُمسكَها عليه ، ولن يُكرِهَها على الوفاء له ، إلا أن تكون حُشالةً يزهد فيها حتى ذُبابُ الناس ؛ فيأسها هو يجعل هذا المسكينَ مطمعاً ، وهى مع ذلك لو خلطَتْه بنفسها لبقيتْ منها ناحية لا تختلط ، إذ ترى أمتَه دون أمتها ، وجنسَه دون جنسها ؛ فما تَسُبّ أمةَ زوجها وبلادَه بأقبح من هذا !

أما والله إن الرجل الشرقى حين يأتى بالأجنبية لتلوين حياته بألوان الأنثى ... لا يكون اختار أزهى الألوان إلا لتلوين مصائبِ حياته ! وقد يكون هناك ما يَشذّ ، ولكن هذه هى القاعدة

***

أما قصتى يا إخوانى ... ...

قال الدكتور محمد : قد حكيتَها « يرحمك الله »

طنطا

٢ ـ محمد بك المويلحى

للأستاذ عبد العزيز البشرى

لست أغلو إذا زعمت أننى فى مطلع نشأتى الأدبية كان « مصباح الشرق » عندى هو المثل الأعلى للبيان العربى . وبهذا كنت شديد الأكباب على قراءته ، وتقليب الذهن واللسان فى روائع صيغه وطرائف عباراته . حتى لقد كنت أشعر أننى أترشّفها ترشّفاً لتدور فى أعراقى وتخالط دمى ، وتطبع ملكتى على هذا اللون من البيان الجزل السهل الناقد الطريف . ولكن (ما كل ما يتمنّى المرء يدركه) !

ولقد كنت فتًى مولعاً بالصناعة ، شأن أكثر فاتنة المتأدبين فى ذلك العهد . فلما أرسل محمد المويلحى فى المصباح (أحاديث عيسى بن هشام) زادنى وزاد لِداتى به فتونا

كيف تمثل لى محمد المويلحى ؟ :

لم تكن عينى الى هذا العهد قد وقعت قط على محمد المويلحى ، ولا خيارَ للمرء فى تمثُّل صورة من لم ير من الأناسىّ ، وما لم يشهد من البقاع . فكانت الصورة التى جلاها علىّ الخيال لهذا الرجل ، صورة شابّ معتدل القدّ ، وضيء الطَّلْعة ، وسيم الوجه قسيمه . وما كان ذلك البيان الجوهرى ليجلو علىّ من الرجل غيرَ ذلك . على أننى كنت أرى أباه ابراهيم بك الحينَ بعد الحين فى زياراته لوالدنا ، عليهما رحمة الله ، وفى زيارات والدنا له (بعمارة البابلى) يوم كنت أصحبه . وكان هذا المويلحى تحفة من تحف العصر التى قلّ أن يجود بمثلها الزمان : قوة لسَن ، واشتمال ذهن ، وحضور بديهة ، وسطوة نكتة ، وسعة علم بالزمان وأحوال الناس . أما سرعته وتوفيقه فى إيراد الشاهد من عبر التاريخ ، ومأثور الآداب من منثور الكلام ومنظومه ، فهذا ما لم يتعلّق بغباره فيه أحد . فكان مجلسه متاعاً من أعظم المتاع

على أننى لم أوفَّق الى رؤية المويلحى الابن مرةً واحدة !

وتتابعت السنون ، وخلص تحرير « المصباح » الى محمد . ثم امتحنه القدر بحادثة اعتداء يسير عليه من بعض الطُّيَّش من أبناء (الذوات) فى إحدى القهوات . وانتهى الخبر الى المرحوم

الشيخ على يوسف ، وكان فى صدره موجدة شديدة على محمد وعلى أبيه لما كان بينه وبينهما من كيد وصراع ، فانتهز الفرصة ، وروى الحادثة فى صورة مهولة ، واستدرج الكتاب والشعراء للقول فيها ، وفسح لهذا فى المؤيد مكاناً عريضاً . ومن ذا الذى لم يكن موتوراً من المويلحى ؟ ومن ذا الذى لم يقدر الوتر منه فى مستقبل الأيام ؟ وإذا كان الرجل عاجزاً عن أن يخرج للمويلحى وحده ، فهذه جموع الأدباء والشعراء والعلماء أيضاً قد تداكت لقتاله بكل ما فى أيديها من سلاح ! ألا فليتقدم لطعن المويلحى من شاء أن يتقدم ، فليس على أحد فى قتاله اليوم من بأس !

وتثور العاصفة : ويشتد البأس ، وتحمر الحدق ، وأذن النفير العام ، فوثب القاعد ، وتحرك الساكن ، وانبعث الجاثم ، وهب النائم . وأهاب القعديون بالتخاف ، واستحمسوا التخاذل . وشد الجميع على قلب رجل واحد . وهل كان من المستطاع أن يصمد لهذا الجيش اللجب رجلٌ واحد ؟ . لم يستطع المويلحى أن يثبت فى الميدان ، فأطفأ « المصباح » وانسلّ إلى داره وقد ألقى يد السلام ، واحتجب ولكن فى انتظار الثأر وريّ الغلة بالانتقام ! .

ولقد تم للمويلحى من هذا بعض ما أراد أو كل ما أراد . فلقد كان ممن أثاروا الثائرة على الشيخ على يوسف أيام حادث الزوجية الشهور ، وفتح له فى جريدة (الظاهر) باباً مثل ذلك الباب ، واستدرج له أقلام الشعراء والكتاب . وواحدة لواحدة كفاء

متى رأيت المويلحى ، وكيف اتصلت به ؟ :

بين سنتى ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ ، لا أذكر على التحديد ، سألت صديقاً حديث العهد بصداقتى ، ولكن ودّه للمويلحى قديم — سألته وتمنيت عليه أن يجمع بينى وبينه ، وما كان أبلغ دهشى واغتباطى حين قال لى : إن المويلحى قد طالعه أنه يحب أن يرانى ، ولعله عرف بى من أيام كنت أرسل القول فى الشيخ فى فتنة الزوجية شعراً ونثراً . (واسأل الله أن يغفر لى هذا) . وتواعدنا أن نذهب إليه فى الأصيل

وكان ، رحمه الله ، قد اتخذ مسكنه داراً من دور سعيد باشا نصر ، تقع فى أطراف العباسية يومئذ . وهذه الدار لا يعطى العين ظاهرُها أكثر من منظر (حوش) فى قرافة الأمام ، فاذا جزت مداخلها انفرجت للعين حديقةٌ واسعة قد عبّدت طرقُها تعبيداً ، ونضدت أشجارها تنضيداً ، وتأنقت يد البستانى فى تسويتها وتنميقها ، كما تأنقت يد الطبيعة فى تشجيرها وتزويقها : فهذا الفلّ الوضيء الآلق ، وهذا الورد المشرق الضاحك ، وهذا النرجس تنبعث من عيونه الأسحار ، وهذا الياسمين لقد استحال تنفساً فى ساع الأسحار .

ولقد أفرد زاوية من زوايا الحديقة للغزلان والطواويس وجماعات الطير من كل غريدٍ صدّاح

ويستقبلنى ، رحمة الله عليه ، بالبشر والتأهيل والترحيب ، وإذا بى إزاء رجل حنطى اللون ، بين الطويل والقصير ، والسمين والهزيل ؛ مستطيل الوجه ، عريض الجبهة ، حادّ العينين ، مستوى الأنف ، له فم قريب الى الفوه فى غير قبح ولا استكراه . إذا تمثل واقفاً لمحت فى ساقيه تقوساً خفيفاً لعله دخل عليه من أنه عالج المشى قبل أن تصلب عظامه . وله إذا تحدث صوت لا أقول خشن بل أقول جزل . فاذا أقبل على القراءة زرّ عينه اليسرى فبان التكرش الشديد فى معقد ما بين أعلى العارض وأسفل الجبين ، وهذا التكرّش لاشك كان من أثر السنين ، وإن كان يخفيها فى المويلحى شدة عنايته بصحته ، وتكلفه ألواناً من علاج البدن بمأثور الوصفات ، والتزام الحمية فى كثير من الأوقات ، وأخذ النفس بالراحة التامة ما تستثيره أزمة من الأزمات ، ولا يستدرجه مجلس لهو ولا تقنصه داعيةُ لذة من اللذات ؛ وبهذا تهيأ له أن يحيا فى مثل نضرة الشباب الى الممات

وقد تلقانى فى غرفة الاستقبال ، وهى غرفة أنيقة حقاً — لقد أثثت بأفخر الأثاث وأغلاه ، وأفخر من كل شىء فيها الأناقة فى تصفيف الفراش والذوق التام . وقد زُينت أجنُبُها بصور كبيرة له ولأبيه ، وللأميرة نازلى فاضل ، وللسيد جمال الدين الأفغانى . وبلوحات خطية جميلة جرت بروائع الحكم ، وأكثرها من شعر المعرى

وخضنا فى أحاديث من أحاديث الأدب ، ولوّنا الكلام تلويناً حتى تجاوزنا نصف الليل ، وتفارقنا وكأن حبل المودة بيننا ممدود من عشرين سنة . وتواعدنا اللقاء ما تهيأ لنا . وكذلك استمكن

الأِلف واستوثقت حبال الود ، فما يتفارق إلا على موعدٍ من لقاء قريب . ولقد أعيش معه اليومين والثلاثة نقرأ عامة نهارنا وصدراً من ليلنا كتباً ، أو نتذاكر أدباً

وكان ممن يختلفون الى داره مغربَ الشمس عادةً بعض أقطاب العلم وأصحاب الرأى والبيان والبداهة المواتية ، وأذكر منهم المرحومين عمه السيد عبد السلام باشا المويلحى (سر تجار مصر) ، والسيد محمد توفيق البكرى ، والشيخ على يوسف ، بعد إذ تصافت القلوب مما كان علق بها من الأضغان ، والسيد محمد البابلى ، ومحمد بك رشاد ، وحافظ بك ابراهيم ، وعبد الرحيم بك احمد ، وحافظ بك عوض ، والسيد عبد الحميد البنان . أحياها الله أطيب الحياة . وخذ ما شئت فى أثناء هذه المجالس من أدب رائع ، ومن نادرة طريفة ، ومن حاضر نكتة قل أن تسخو بمثلها الأذهان

ولقد كنا نقضى معاً عامّة الصيف فى مدينة الاسكندرية . ولعل من أسعد هذه الأصياف ذلك الذى قضيناه معاً فى فندق فى ضاحية المكس خالصين للرياضة ومراجعة الكتب فى مختلف الآداب ، لا ننحدر الى صلب المدينة إلا لقضاء سهرة مونقة مع آثر الصحاب . كما عشنا معاً فى شتاء سنة ٩١١ ، ٩١٢ بضعة أشهر فى دار استأجرناها فى حلوان

وفى سنة ١٩١٠ قُلد فى ديوان (عموم) الأوقاف منصب رئيس قسم الادارة والسكرتارية ، وفى يناير من سنة ١٩١١ عينت فى (قلم السكرتارية) . وللمويلحى فى هذا التعيين سعى غير منكور . وبهذا أصبح لى رئيساً ، كما كان لى أستاذاً وصديقاً

ولقد ظل الودّ بيننا موصولاً حتى قبض إلى رحمة الله

نشأته ودراسته :

هو السيد محمد المويلحى بن ابراهيم بك بن السيد عبد الخالق المويلحى . أصلهم من برقا المويلح ببلاد العرب ، هبط جدودهم مصر من زمن غير قصير ، وكانوا يتجرون فى صناعة الحرير ، وهم أهل نعمة وثراء . ولقد أتلف أبوه ابراهيم كل ما كان فى يده من الأموال فلم ينزلق عنه لبنيه إلا نطافٌ من الاستحقاق فى بعض الأوقاف

وما أحسب محمداً تجاوز فى الدراسة المنظمة التعليم الابتدائى . ثم جعل يتعلم على أبيه ، ويُكِبّ على قراءة الكتب فى العلوم والآداب ، ثم اتصل بأئمة العلماء وأقطاب أصحاب الأدب من أمثال السيد جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ حسين المرصفى ، ومحمود باشا سامى البارودى ، وغيرهم من أعلام عصره فحذق العربية وبرع فيها ، وجود البيان أيما تجويد ، وهيأ له جِدّه واضطرابه فى أسفاره بين الشرق والغرب تجويد اللغات الفرنسية ، والتركية ، والايطالية ، كما أصاب حظاً من الانجليزية واللاتينية . وكان كثير القراءة الى غاية المات ، فلا تكاد تقتحم عليه إلا رأيته يعالج بالتنسيق حديقته ، أو يقرأ فى كتاب عربىّ أو فى كتاب يجرى فى إحدى هذه اللغات

ولقد سألته ذات يوم عن أحسن الفرص التى هيأت له أعظم حظ من العلم فقال : كنت فى الآستانة فى ضيافة رجل فاضل يدعى سليمان افندى ، وكان عنده مكتبة تعدّ من أنفر المكاتب الأهلية ، فلبست ثيابى ذات عشية تأهباً للخروج كعادتى لأسهر فى بعض ملاهى المدينة ، وتفقدت كيسى فاذا هو صفر من الدرهم والدينار ، فنضوت ثيابى ثانية وقلت باسم الله ، ولبثت عاكفاً على قراءة الكتب لا أبرح هذه المكتبة إلا للنوم أو لغيره من حاجات الحياة . وظللت على هذه الحال ستة أشهر وبعض الشهر حتى أذن الله بالفرج ، وجاءنى من المال ما هيأ لى استئناف الحياة مع الناس !

ومن يعرف صبر المويلحى ، وشدة حمله على نفسه ، لا يستطيع أن ينكر منه هذا المقال ، وسأُلِمّ إن شاء الله بهذه الخلة العجيبة فيه عند الكلام فى عاداته وأخلاقه . وحسبى هذا الآن فقد أطلت الحديث ، والى الملتقى القريب ما

عبد العزيز البشرى

٣٠٥٤

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

ترجمها الاستاذ احمد حسن الزيات

ثمنها ١٥ قرشاً